صور الشورى في حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (1)

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 28 أغسطس 2020

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

يصعب في مثل هذا المقال أن نستعرض كل المواقف والأحداث التي استشار فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صحابته رضوان اللّه عليهم، فهي كثيرة وذات صور متنوعة، إلا إننا سنحاول أن نصنف بعضها ونذكر جزءًا منها. كل ذلك بهدف أن تتضح لنا القدرة القيادية عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الذي اتخذ الشورى مبدءًا في جميع أوقاته، فهو يسمع جميع الآراء بأكبر قدرة على استيعاب كل الآراء، على الرغم من أنه كان يمكن أن يرفض كل تلك الآراء على اعتباره نبي الأمة وقائدها ومعلمها الأول، إلا أنه صلى اللّه عليه وسلم تمكن بهذه القدرة القيادية والإدارية أن يستوعب كل هذا لأنه القائد الذي لم يختلف على قيادته أحد.

الصورة الأولى: استشارته لعامة أصحابه؛ وهذه الصورة حصلت في مواقع كثيرة، منها:

تشير كتب السيرة النبوية منها سيرة ابن هشام ودلائل النبوة للبيهقي الى أنه عندما خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم للقاء القافلة العائدة من

الشام في غزوة بدر أفلتت منه، ولكنه – وعلى الرغم من هروب القافلة – علم بخروج مشركي قريش لحربه، فاستشار المسلمين الذين كانوا معه، فأشار عليه أبوبكر وعمر والمقداد رضي اللّه عنهم، ولكن وجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن هؤلاء جميعًا من المهاجرين، وهو إنما كان صلى اللّه عليه وسلم يريد استجلاء موقف الأنصار، فقال مرة أخرى: «أشيروا عليّ أيها الناس».

ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فنهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم وقال: يا رسول اللّه لكأنك تريدنا ؟ قال: أجل، فقال سعد: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول اللّه لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة اللّه.

يقول الراوي، فسر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين واللّه لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

وفي غزوة أُحُد، وعندما علم النبي صلى اللّه عليه وسلم أن قريشًا قد جاءت لحربه ووصلت إلى مشارف المدينة، استشار أصحابه، وكان رأيه صلى اللّه عليه وسلم الدفاع في المدينة عن المدينة، ولكن أغلبية المسلمين وخاصة

من فاتهم القتال في بدر أرادوا الخروج إلى أُحُد ومنازلة المشركين هناك، فوافق النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم على رأي الأغلبية، وقرر مُغادَرة المدينة والخروج إلى أُحُد، فكانت واقعة أُحُد.

وفي غزوة الأحزاب، علم النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم أن قريشًا وحلفاءها وقبائل غطفان قد خرجت صوب المدينة تُريد غزوها واستئصال من فيها، فعقد النبي صلى اللّه عليه وسلم مجلِسًا استشاريًا شاور فيه أصحابه حول خطة الدفاع التي يدفعون بها هذه الجيوش الجرارة، فأشار سلمان الفارسي رضي اللّه عنه بحفر الخندق للحيلولة دون دخول تلك الأحزاب إلى المدينة، فوافق النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم على هذا الرأي وباشر تطبيقه.

ومنها ما كان في غزوة تبوك (مغازي للواقدي وسُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد)، فعندما وصل النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم إلى تبوك وأقام بها عشرين ليلةً ولم يلق جيش الروم، استشار من معه من المسلمين في التقدم شمالاً من تبوك، فأشار عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بعدم التقدم؛ لإمكان الاصطدام بحشود الروم وحلفائهم المتفوقة على المسلمين بعُدَّتها وعتادها، وأن دُنو النبي إلى المكان الذي وصل إليه قد حصل به المقصود من إفزاع الروم، فقبِل النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم مشورة عمر رضي اللّه عنه ولم يتجاوز تبوك.

يمكن الملاحظة من خلال هذه الأمثلة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم استشار فيها عامة أصحابه، ثم بعد ذلك أخذ برأيهم وطبق ما أشاروا به عليه.

الصورة الثانية: استشارته لأكثر من واحد مِن أصحابه؛ وهذه الصورة نذكر منها:

في صحيح مسلم وفي دلائل النبوة للبيهقي وبعض مراجع السيرة النبوية أنه عندما وقعت غزوة بدر وانتهت المعركة، وقع في أيدي المسلمين سبعون أسيرًا من مُشركي قريش، فاستشار النبي صلى اللّه عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه وعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في هؤلاء الأسرى، فكان رأي أبي بكر الصديق المن على الأسرى بعد أخذ الفدية منهم، وكان رأيُ عُمر الفاروق قتلهم، فأخذ برأي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

وفي غزوة حمراء الأسد عندما علم النبي صلى اللّه عليه وسلم أن قريشًا قد أزمعت العودة – بعد وقعة أُحُد – إلى المدينة، طلب النبي صلى اللّه عليه وسلم من أبي بكر الصديق ومن عُمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما المشورة، فأشارا عليه بالخروج إلى حمراء الأسد لمُطاردة المشركين؛ خوفًا من عودتهم إلى المدينة ثانيةً ومُداهَمة أهلِها، فأخذ النبي صلى اللّه عليه وسلم بمشورتهما، وخرج بالمسلمين إلى حمراء الأسد (مغازي الواقدي وسُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد).

وفي غزوة الأحزاب كما يشير ابن هشام في السيرة النبوية أنه صلى اللّه عليه وسلم قام عندما كانت الأحزاب تُحاصِر المدينة وتُريد الانقضاض عليها، أراد صلى اللّه عليه وسلم أن يُصالح غطفان على شيء مِن ثمار المدينة؛ لينسحِبوا من مُساندة الأحزاب، ويتركوه يُواجِه قريشًا وحدها، فاستشار صلى اللّه عليه وسلم سعدَ بن معاذ وسعد بن عُبادة في هذا الأمر، فأشارا عليه بعدم إعطائهم شيئًا، فأخذ النبي صلى اللّه عليه وسلم بمشورَتِهما. ويمكن أن يلاحظ أن النبي صلى اللّه عليه وسلم استشار كلا من ذوي الخبرة باختصاصهم، فقد استشار أبا بكر الصديق وعُمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما وهما مِن قريش، بأمر أسرى المشركين في بدر، وهم من قريش أيضًا. وعندما كان الأمر يخص المدينة وثمار المدينة المنورة استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي اللّه عنهما بأمر تمر المدينة، وهما سيِّدا الأوس والخزرج مِن الأنصار، وسيِّدا أهل المدينة.

لنواصل ما انقطع من حديث إن شاء اللّه.